افكار وآراء

استضاءة واستبراء

رأيت في جزء كانون الثاني من سنة ١٩٢٣ من هذه المجلة بحثاً لطيفاً عن الحكيم الشهير موفق الدين ابن المطران الدمشقي للاديب البليغ السيد محمد رضا الشبيبي وقد جاءت فيه لفظة « الغواية » بمعنى شدة الولوع اذ نقل عن عيون الانباء قوله « وبالغ من اعتنائه بالكتب وغوايته فيها » الخ ثم قال « فهذا من اغرب ما يروى عن غواة الكتب وعلماء الآثار » الخ ثم قال نقلاً عن ابن المطران نفسه « ويتصرف فيها سائر التصرفات له غية فيه ونعم الغية هي »

فالذي نعرفه ان الغواية لا تاتي الا بمعنى الضلال في فصيح اللغة وان استعمال هذا الحرف في معنى الغلو في الشيء هو عامي تجد العامة عندنا في جبل لبنان يقولون فلان غاوٍ كثيراً بمعنى انه يتأنق كثيراً في ملبسه . وتجد اهالي مصر يقولون فلان عنده غية في كذا اي ولع شديد او اعتناء زائد مما هو وصف amateur عند الفرنسيس ومعلوم ان نقل هذا المعنى من الضلال الى شدة الاعتناء او الولوع غير خفي المناسبة فإن الذي يولع بامرٍ ويغلو فيه يكاد يكون ضالاً لا يبالي بالقصد ولا يسأل عن الاعتدال وهذا اشبه بقولهم « استهتر » بمعنى اتبع هواه فلا يبالي بما يفعل يقولون عاشق مستهتر فنقلها العامة عندنا في جبل لبنان الى معنى الاستخفاف يقولون ما زال يستهتر بهذه المسئلة حتى كبرت او لا تستهتر بهذا الامر تندم وما اشبه ذلك . ووجه المناسبة ان كل من يتبع هواه ولا يبالي يصير مستخفاً بما يقول الناس وبما يحدث فالاستهتار بمعنى الاستخفاف اصله من الاستهتار بمعنى اتباع الهوى ولكن ليس من اصل اللغة فكان ينبغي ان تجعل اشارة على كون الغاوي بمعنى المولع بالشيء والغية بمعنى الانصراف الزائد الى شيء هما مولدتان لئلا يتوهم المبتدىء او الجاهل ان معناها هو هكذا في اصل اللغة .

ثم ورد في كلام ابن المطران لفظة « الانعكاف » بمعنى العكوف فكان ينبغي التنبيه عليها لئلا يزلق بها القارىء فيظنها صواباً . وقد عابوا على الشيخ ناصيف اليازجي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شاعر سورية في وقته قوله :

فمن يغشى العز في ايامه فله دار الشويفات حيث الناس تنعكفُ

ووردت كذلك في مقاماته وكانت مما أخذه عليه احمد فارس الشدياق كما لا يخفى

• • •

وجاء في جزء شباط سنة ١٩٢٤ فصل ممتع للاستاذ العلامة المغربي في الكلمات والتراكيب التي تصلح ان تؤخذ من كتاب النشوار وتنشر وتنقل وتحيا بها اليوم لهجة العرب في ايام دولتهم ومدنيتهم . فاورد من ذلك لفظة « نغش » التي تدل على تحرك الشيء حركة اضطراب وقال انها اكثر ما تستعمل في مثل نغشت الدار بالصبيان اذا كثروا فيها فاصبحت من كثرتهم كأنها تتحرك وقال في النشوار : واذا بالتفاحة تنغش بالدود .

فاقول ان نغش هذه تستعمل كثيراً في حركة القلب وجاء في اللغة نغش اليه بمعنى مال اليه . والعامة عندنا في جبل لبنان تقول : صار القلب ينغنش . يضيفون اليها النون كعادتهم في الفاظ كثيرة يضاعفونها وذلك في معنى حركة القلب من الحب . واحياناً يقلبون النون ميماً كما هو شأنهم في كلمات عديدة فيقولون « ينغمش » و « نغمش » ويقولون عن المرأة الحسناء او التي فيها جاذب للحب « نغشة » كأنهم لحظوا في ذلك حركة القلب عند رؤيتها او حركتها هي التي ينغش لها القلب

ويقول الاستاذ المغربي عند جملة « تجدد ذكره وتطرّى امره » تطرى من الطراءة والطراوة فقوله تطرى امره بمعنى اشتهر بين الناس وانتعش فلم يكن ذابلاً ولا ذاوياً ولا خاملاً فهو بمعنى تجدد . وهذا توجيه صحيح ولكن كان ينبغي ان يضيف : ومن المطرّاة ضرب من الطيب يقال غسلة مطرّاة اي مربّاة بالافاويه كذلك يقال عود مطرّى اي يتبخر به فهذا المعنى غير بعيد ايضاً

ثم يقول « فيبيعها في النداء الخ » ويفسر النداء بمعنى « حراج » او « سوق حراج » وهذا صحيح . والظاهر ان هذا الاسم هو الذي كان يستعمله العرب للبيع بالمزايدة العلنية : فمن طرف الاخبار ما اخبرني به تاجر من بيروت اصله من دير القمر هو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المرحوم اسكندر الدوماني قال لي ذهبت مرةً الى اسبانية فبينما انا نائم اول ليلة من وصولي حلمت بأني في بيروت اسمع غناء عربياً فاستيقظت فسمعت الغناء نفسه بلحنه العربي: ياليلي ياليلي . فاندهلت وقلت لنفسي يارب اين انا ؟ ثم فكرت انني انا باسبانية وان اصلها الاندلس العربية وان الحانها عربية . وفي اليوم التالي شاهدت في المدينة التي كنت فيها مكاناً متسعاً في السوق مكتوباً فوق بابه هذه الكلمة بالاسبانيولي Al-manadah فلم افهم معناها فلما دخلت الى المكان وسمعت الدلال ينادي على البضائع هذا بكذا وهذا بكذا علمت ان هذه الكلمة هي المناداة بعينها وهي ما نسميه في الشام بالحراج . فالاسبانيول اذاً في هذا المعنى أعرب منا

واشار الاستاذ المغربي الى كون كثير من الالفاظ الديوانية التي كانت تستعمل في ايام العباسيين هي اصل بعض الاصطلاحات الادارية والكلمات الديوانية التي جرى عليها الاتراك العثمانيون ولا عجب في ذلك فالدولة العثمانية نشأت في حجر الدولة السلجوقية والدولة السلجوقية نشأت في حجر الدولة العباسية واذا اردت ان تعرف تاريخ اللغة والادب فابحث عن تاريخ السياسة فانهما متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر . ولقد جلّت خدمة الاستاذ المغربي في اجتناء هذه الطاقة من أزاهير نثوار المحاضرة لتكون انموذجاً ينسج على منواله في الدول العربية التي استؤنفت والتي ستجد ان شاء الله وليحيا منها ما حيّ عن بينة . وطالما حدثتني نفسي بمراجعة كتب الخراج وتاريخ الادارة في ايام العباسيين والدول التي بعدهم والتي في عصرهم مثل الدولة الفاطمية بمصر والدولة الاموية بالاندلس والدول التي تداولت المغرب كالمرابطين والموحدين وبني مرين والسعديين وبني حفص في تونس والدولة المصرية في ايام المماليك ودول اليمن وغير ذلك واستقصاء جميع الالفاظ التي كانت تستعملها تلك الدول في المواضيع الادارية والمالية والحربية والاعتياض منها لمثلها او لما يقاربها من اوضاع العصر الحاضر تخلصاً من العجمة والركاكة فجاء صنيع الاستاذ المغربي فاتحة لهذا العمل بما قطفه من نثوار المحاضرة . وفي نيتي عند ما تصل اليّ بعض كتبي التي طلبتها من دار الشويفات الى مرسين لتشاطرني هذه الغربة المتطاولة ان انضد طاقة ثانية من ازاهر تاريخ الوزراء للصابي الذي عهدت فيه كثيراً من تلك الاوضاع ومن رسائل ابي اسحق الصابي الاول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رئيس كتاب الديوان ببغداد فقد عثرت فيهما على الفاظ هي الاصل لاصطلاحات تركية جارية اليوم اتذكر منها قوله « ساعده في السفر الى المكان الفلاني » مما جعله الاتراك تدريجاً بمعنى اذن في مقام التعظيم اذ الاذن من الرئيس للمرؤوس في السفر يعد مساعدة فانتهى الامر بأن الاتراك صاروا يعبرون عن مجرد الاذن بالمساعدة كما هو معروف

ومما ذكره الاستاذ المغربي من هذا القبيل لفظة «التصرف» بمعنى الولاية كان يقال : لا تصرف لك عندي . وما انصرف خوفاً من الفقر ولكن زيادة في الجاه . قال فمن هنا اخذ الاتراك العثمانيون لفظة « متصرف » لمن هو دون الوالي . ثم قال ان صاحب الفشوار يستعمل التصرف بمعنى السعي في طلب المعاش مثلاً : «فهل تحسن تتصرف وتكسب المال . وسافرت الى مصر للتصرف» وغير ذلك . وهذا الاصطلاح معروف في الدولة العثمانية يطلقونه على معنى التوفير مطلقاً . كان يأتينا في مجلس الامة بالاستانة محرر مضبطة الموازنة المالية فيقول : اخرنا كذا وقدمنا كذا فحصل لنا تصرف بقيمة كذا من المال . وظاهر هنا ان معنى التصرف هو معرفة الكسب والخبرة بالاقتصاد . وذكر من اصطلاحات ايام العباسيين « خليفة الوزير » و « خليفة القاضي » وقال هذا مانسميه نحن اليوم « رئيس ثاني او نائب رئيس او معاون رئيس» . وانا اقول للاستاذ : هذه لفظة خليفة في الدواوين باقية بعينها عند الاتراك الى هذه الساعة يقولون في الباب العالي قلم آمدي هايون خلفا سندن . اي من خلفاء القلم الآمدي . (مرجع الرتب والاوسمة) وشبهه قلمي خلفا سندن وهلم جراً يعنون به المعاون او الرفيق ولكنهم لا يستعملونه مفرداً فلا يقولون : فلان خليفة في القلم الفلاني . بل مذهبهم ان يقولوا : من خلفاء القلم الفلاني

وذكر الاستاذ « الجريدة » فقال انهم كانوا يستعملونها بمعنى «القائمة » واورد لها مثلا من الفشوار . وانا اعزز قوله بانني رأيت في رسائل بديع الزمان لفظة الجريدة بهذا المعنى يقول ارجو من مولاي ان يكتبني في جريدة اصدقائه ومرت بي كثيراً في كتابات ذلك العهد بهذا المعنى . واليوم عندنا في جبل لبنان يسمون دفتر القرعة الذي فيه قيد الاملاك بمساحتها جريدة وهو اصطلاح قديم ويقولون للمعدم الذي لا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يملك شيئاً : ليس له اسم في جريدة ..

ومما قاله الاستاذ المغربي في هذا البحث الشائق : ومن الكلمات والتراكيب ما كانوا يستعملونه في ذلك العهد اي منذ الف سنة كما نستعمله نحن اليوم وذلك ككلمة شقة « وهي القطعة من الثياب تكون مستطيلة قبل ان تخاط » ثم ذكر من هذه الطائفة كلمة ستر وكلمة حال والعيارين وشال يشيل وفاتش والتفرُّج وقولهم برسم كذا وشه شه وغير ذلك مما نستعمله اليوم . وانا اقول للاستاذ منذ الف سنة كانوا يقولون « الابعد » اذا ارادوا تنزيه المخاطب عند سرد قصة بذيئة أو ذكر سوأة اتذكر جيداً انني عثرت بها في الكامل للمبرد وليست كتبي الآن معي لانقل العبارة بعينها . فمن كان يظن ذلك ؟

شكيب ارسلان